

دلالة المكان في شعر السري الرفاء الموصللي

أ.م.د. عامر نايف الهيتي

المبحث الاول: حياته وشعره

هو ابو الحسن السري بن احمد السري الكندي الرفاء الموصللي ويعرف بالسري الرفاء وهو الاسم الذي غلب عليه، ولقب بالرفاء لانه كان يعمل في رفو الثياب وتطريزها وقد ذكره الثعالبي في اليتيمة فقال (فمنهم السري بن احمد الكندي المعروف بالرفاء)⁽¹⁾

ولد الرفاء في مدينة الموصل ولا تعرف سنة ولادته ولكنه من شعراء القرن الرابع الهجري الذين ذكرهم الثعالبي في يتييمته، وقد عاش صباح رفاء في سوق الرفائين في الموصل حيث سلمه والداه الى احد دكاكين الرفائين في الموصل لكن عمله لم يكن يدر عليه من الرزق الا قليلا، وقد قال عن حاله في أبيات دخلت فيها مفردات مهنته⁽²⁾ بصور تتم عن فقره:

يكفيك في جملة اخباري يسري من الحب واعساري
في سوقة افضلهم مرتد نقصا ففضلي بينهم عاري
وكانت الابرة في ما مضى صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقا كأنه من ثقبها جاري

فقد ادرك مكانته بين اصحاب السوق لذا أثر ان يمدح ويتكسب بشعره فمدح بني عقيل في الموصل ثم توجه الى حلب ومدح سيف الدولة الحمداني وقصد بغداد ومح الوزير المهلبلي. لقد كان السري قد درس القرآن الكريم وحفظ منه الكثير مما اثر في اسلوبه وصوره الشعرية، ان المنتبغ لشعر السري الرفاء يلحظ ان الشاعر يمتلك قدرة على نظم الشعر تتم عن خبره وعلم غزير كان الشاعر قد حصل عليه في حياته، فتذكر مصادر الادب التي ترجمت له انه كان يتردد بعد انتهاء عمله في سوق الرفائين على مجالس الادباء والشعراء في الموصل ويقرا الشعر في اوقات فراغه (وكان مع ذلك ينظم الشعر ويجيد فيه)⁽³⁾.

وعمل في مهن مختلفة كالخياطة والتطريز والصيد والوراقة ولكنه لم يسعد بهذه المهن التي لا تدر عليه الرزق الوفير.

ولم تطل اقامته في مجالس الامراء وذلك لكثرة الحساد والاعداء من الشعراء امثال الخالديين حيث هجاهما كثيرا واتهمهما بسرقة شعره⁽⁴⁾ تذكر مصار الادب ان السري الرفاء كان لاهيا غارقا في لذاته وهذا يتضح في كثرة اشعاره في ذكر الخمر ومجالس اللذة. وقد كان شاعرا مجيداً قال شعراً في جميع اغراض الشعر كالممدح والوصف والهجاء والرتاء والغزل والفخر والخمر والعتاب والاعتذار والطرود وغيرها من موضوعات واغراض الشعر التي ضمها ديوانه.

والوصف احسن شعر السري والطفه. فهو وصاف بارع يسجل في شعره ما يراه ورسام فنان يصور بريشته ما يحسه فهو (شاعر مطبوع عذب عذب الالفاظ مليح المأخذ كثير الافتتان في التشبيهات والايوصاف طالب لها ولو لم يكن لها رواء ولا منظر)⁽⁵⁾ (وهو حسن المعاني رقيق الطبع)⁽⁶⁾.

فاذا اراد ان يصف الليل والصباح، فحين تكون الشمس في خدر امها يبدر الصباح ابيض اللون كملابس الراهب السوداء التي يخالطها البياض حين يبد ومن خلالها فيقول⁽⁷⁾:

وانظر الى الليل كيف تصدعه راية صبح مبيضة، العذب

كراهب حن للهوى طرباً فشق جلابيه من الطرب

وقد جرى كشاحم الشاعر في موضوعاته⁽⁸⁾ ولعل لطبيعة الموصل الغناء اثر في شعره، ولذلك نجد ان المكان ومفرداته قد دارت في شعره كثيراً وتعددت دلالاته التي وجدناها وتابعتها في هذا البحث. والرفاء في ذكره للمكان تبرز موهبته في الوصف ذلك الفن الذي كان مقبولاً آنذاك، وبهذا يمكن ان يعد هو والصنوبري وكشاحم والخالديان في القرن الرابع الهجري من اعظم الوصافين الذين خلدوا الطبيعة في شعرهم⁽⁹⁾ فقد بدت المدن تتحرك فبث فيها الحياة وبدت القصور بهيئة الانسان والبسها من الوشي وكساها من الالوان وزخرف الطبيعة حتى بدت بساطاً مطرزاً ولانكاد نقف على تشبيهه من تشبيحاته الكثيرة الاوحد استعان بمفردات مهنته الرفو والتطريز كالأزرار والالوان والحلي والاثواب، هذا هو السري الرفاء الذي يعد واحداً من رواد مدرسة التشبيه في القرن الرابع الهجري⁽¹⁰⁾. ينظر الرفاء الى الزوارق فاذا هي دهم سود اذ طليت بالقار حتى بدت وهي تجري كأنها خيل دهم تتسابق في حركتها فوق الماء فتثير حباباً ابيض كأنه نقع كافور او لؤلؤ فيقول⁽¹¹⁾:

كأن دهما تبارت في السباق به دهم الجياد تبارت في المضامير

أذا جرين على ارض ممسكة اثرت بالجري منها نقع كافور

فالتشبيه كأداة من ادوات الصورة عند السري الرفاء لم يعد مجرد تشبيه شيء بشيء وانما بعث فيه الحياة فتحوّلت الجوامد عنده الى احياء تحس وتزى وتتحرك مما جعل الصورة اكثر اثارة للمتلقى الذي يقف على جانب التماثل بين حركة السفن وهي تجري فوق الماء وصورة الخيل في ميدان السباق.

المبحث الثاني

الدلالة لغة واصطلاحاً

أ. الدلالة لغة:

دل يدل اذا هدى، ودل يدل اذا من بعطائه، والادل: المنان بعلمه. والدليل من الدلالة، بالكسر والفتح، ودللت بهذا الطريق دلالة اي: عرفته⁽¹²⁾ (واصل الدلالة مصدر كالكتابة والامارة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم وعليم وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره⁽¹³⁾).

وفي الصحاح (والدليل: الدال، وقد دل على الطريق يدلة دلالة دلولة والفتح اعلى)⁽¹⁴⁾. وفي اللسان: (دل فلان اذا هدى، ودل اذا افتخر، والدلة: المنة والدليل ما يستدل به والدليل الدال وقد دل على الطريق يدله دلال ودلوله والفتح اعلى)⁽¹⁵⁾.

ويتضح ان الفعل (دل) جاء بمعنى هدى وارشد ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تتجيكمن من عذاب اليم)⁽¹⁶⁾ وقوله تعالى (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم)⁽¹⁷⁾، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (ان الدال على الخير كفاعله)⁽¹⁸⁾.

وان الاصل في (الدلالة) حين يراد به الاهتداء الى الطريق فيقال: (دل على الطريق، وهو دليل المفازة وهم ادلاؤها، وادللت الطريق: اهتديت اليه)⁽¹⁹⁾ ثم استعمل مجازاً للدلالة على الهداية المعنوية كالدلالة على الايمان.

ب. الدلالة اصطلاحاً:

الدلالة في الاصطلاح هي (كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الاول هو الدال والثاني هو المدلول)⁽²⁰⁾.

المبحث الثالث: دلالة المكان المفتوح (المحبب)

1. الاطلال والديار

شغل المكان اهتماماً كبيراً لدى الانسان مع بداية الخلق والنهوض الاجتماعي والفكري، لان المكان يعطي دلالات واسعة على الاحساس بالمواطنة والانتماء للارض⁽²¹⁾ وحين خلق الله الارض خلق منها الانسان وسخرها له ليعمرها ويستقر فيها الى حين فقال تعال (...ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين)⁽²²⁾، ان الارض المكان المفتوح جعلها الله جل وعلا بهذه الدلالة المحببة ملاذاً وامنه فقال (قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها)⁽²³⁾ وهي معاشه ورزقه حيث قال (فامشوا من في مناكبها وكلوا من رزقه...)⁽²⁴⁾ وقد جاءت الارض المكان بدلالات كثيرة في القرآن الكريم تكاد تجمع على دلالات التمهيد والاستقرار والمعاش⁽²⁵⁾.

وقد حفل قاموس الشعراء منذ القدم بذكر المكان ومفرداته ودلالاتها واكثرها من ترداد الارض والديار والاماكن المحببة اليهم في شعرهم لانها ترتبط بهمومهم الحسية وتثير اشواقهم وحنينهم الى اماكن سكنهم ولهوهم ومراتع صباحهم وذكرياتهم فتتبعث مشاعر مختلفة تبعاً لارتباط الشاعر بهذا المكان فتنوع هذه المشاعر بين حب وشوق وحنين الى هذا المكان فتكون دلالاته محببة وبين كاره قال لهذا المكان: بدوافع عديده فتكون دلالاته غير محببة منقره.

ويتضح اهتمام الشعراء بالمكان من خلال المقدمة الطللية التي شكلت حضوراً بارزاً في الشعر الجاهلي فأصبحت القصائد الجاهلية تفتح بالنسب الطللي (المكان) والبكاء على الديار وعد هذا التقليد منهجاً عند ابن قتيبة حدد فيه جمال القصيدة بقوله (وسمعت بعض اهل الادب يذكر ان مقتصد القصيدة انما ابتدأ بذكر الديار والرمل والآثار فيكي وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر اهلها الضاعنين لانتقالهم من ماء الى ماء وانتجاعهم الكلاً وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسب فشكا شدة الوجد والم الفراق)⁽²⁶⁾.

من هنا ان دلالة المكان (الطلل) ارتبطت بمعاني موضوع الحبيبة الراحلة ارتباطاً رمزياً لان الجذب في حياة الشاعر العربي القديم كان يقلقه ويثير فيه تأملاً حزيناً للحياة، تلك الحياة التي يرتبط ازدهارها بازدهار المكان (الارض) وما تمنحه للانسان القبيلة من الماء والنبات اللذين يحققان في الوقت ذاته مناخاً ملائماً لحياة حيواناتهم في هذا المكان فتتنفس بذلك الحياة للانسان الشاعر. ومادام الارتحال في حياة العربي آنذاك سببه حلول الجذب في المكان المرتحل عنه لذا يكون ارتحال الحبيبة عن ارضها وهو غالباً ما يكون موطن الشاعر نفسه ويمثل الجذب حلول الموت في الارض (المكان) وهو الطلل الذي يبكيه الشاعر فكأنه يبكي عناصر الحياة وخصوبتها في المكان فحضور الحبيبة في الارض يمثل ازدهار المكان (والشاعر حين يقف امام الديار انما يعرب عن تشبته بهذه الارض التي ينتمي اليها بقايا ديار الحبيبة)⁽²⁷⁾.

وظلت هذه الظاهرة تلقانا في مقدمة القصيدة العربية على امتداد العصور الادبية التالية واصبحت سنة متبعة من الصعب الخروج عليها عند الشعراء الملتزمين بالتقاليد الموروثة في النظم⁽²⁸⁾.

وعلى الرغم من ان الشاعر العباسي عاش متحضراً ولم يخض تجربة الاطلال (ولم يعان من يراحه وحنينه مثل الشاعر الجاهلي الا انه نهج هذا المنهج الا انها ارتبطت عنده بالبيئة الجديدة ونوع الحياة والحضارة منها. وانها ظلت موصولة بها وتطورة معها وبذلك لم تتحول الى تقليد فني فارغ من المشاعر والافكار انما بقي مرتبطاً بالبيئة الجديدة⁽²⁹⁾، وانصب اهتمام الشاعر في ذكر الطلل على رقة الالفاظ والصور الجميلة واهملوا المعاني التي ترسم معاهد الارتحال واهتموا بالمعاني التي يثيرها الفراق وركزوا على دلالات المكان المقفرة في نفوسهم.

ان السري الرفاء لم يعرف عنه انه احب او تجرع قصص الهوى المبرح ولذلك فان ذكره للديار انما هو في اطاره التقليدي في مقدمة قصائده التي اراد ان يبرهن قدرته الفنية وحين تقرأ هذه القصائد

يخيل اليك ان السري قد عاش في جزيرة العرب بخيامها وصحاريها وخورها واحداجها وتتصور انه كان كثير التردد على اماكن بعينها وذكرها في شعره مثل (الخير، واللوى، والعقيق، وبارق، والعذيب، ونجد،...) ولكن هذا كله انما كان تقليداً وضرباً من مسالكهم ودروبهم⁽³⁰⁾. وتبدو دلالة هذه الاماكن مفتوحة محببة الى نفس الشاعر ذلك انها مراتع لقياه مع احبته وقد اسبغ عليها من مهارته الفنية فقال⁽³¹⁾:

جارت ومن شيم الكواعب في الهوى الابجار من الصباية جرها
لله موقفنا (بمنعرج اللوى) ومحارنا في لوعة ومحارها

وتبدو هذه الدلالة ايضاً في حديثه عن رحيل الحبيبة عن هذه الدار فيركز على المعاني التي ترسم مشاهد الارتحال فيقول⁽³²⁾:

يؤرقه اذا البرق استنارا هوى يقتاد عبرته اقتارا
فرحت اسأل الركبان عنه باي جنوب كاظمة استطارا
لا ذكرى اعز الناس جارا واحلى الارض في عيني دارا

وهو لا يبعد عن الشعراء الذين سبقوه في ذكر الديار والرسوم فانه يقضي حقها ويرويها بالدموع بعد ان استوقف الركب فقال⁽³³⁾:

قضى بوقوف الركب حق المواقف فروى صداها بالدموع النوارف
رسوم كأن الطرف يقرأ كلما تأملها أي الهوى في صحائف
فلم تنسني الايام فيك وقد دجت سوائف ايام مضت كالسوائف

وما هذا الوقوف الا من باب التقليد وليس عن تجربه فعلية، ان ذكر اماكن الصحراء يرتبط بدلالات تقليدية محببة لدى الشاعر فيتخيل لقاءات الاحبة ويستشعر مواطن القوم فيها فيقول⁽³⁴⁾:

هلا ونحن على كئيب اللوى اعترضت تيك المحاسن من نصب ومن كئيب
ايام لي في الهوى العذري مآربه وليس لي في هوى العذال من أرب

وتبدو مهارة السري الرفاء الفنية للامر الذي يبعده احياناً عن مجرد التقليد حين جعل المطر من العوامل التي تزيد منظر المكان (الديار) حسناً وجمالاً بما ينشره من نباتات عكس الشعراء القدامى الذين (سلكوه في عوامل البلا التي تمحو الديار وتطمس معالمها)⁽³⁵⁾ وفي ذلك يقول السري الرفاء⁽³⁶⁾:

يا دار جاذبها الفراق جمالها فعدا وراح على ظهور جماله
ما بال رنمك لا يباح لقاؤه لمحبه الا غداة زياله
فسقيت رجع حذوجه وسقى الحيا محلته وسقيت عو وصاله

ان مكان الطلل مكان مفتوح غير محدد وغير مغلق (اللامكان) وهذا المكان يمثل دلالة الالفة والارتباط البدني والمشيبي برحم الارض (المكان) وتبدو هذه الدلالة (الطلل وذكر الديار والخيام) على الرغم من ان دلالتها تشعر احياناً بالمحدودية الا ان ذكرها في الحديث عن الطلل الدارس تختلف دلالتها المكانية عن المحدودية الى المطلقة في توسعه المكان واجتوائه نفسية الشاعر والامه في العودة اليه وبث مشاعر الحنين والشوق اليه فهو موطن الصبا والشباب ومرجع مغامراته، وتتضح مهارة الشاعر حين اكسبها نوعاً من التجربة التي تبدو لنا صادقة العاطفة فيقول⁽³⁷⁾:

أبيت الليل مرتفقاً اناجي بصدق الوجد كاذبة الاماني
فتشهد لي على الارق الثريا ويعلم ما اجن الفرقدان
اذا دنت الخيام بهم فأهلاً بذاك الخيم والخيم الدواني

ونجد ان دلالة الخيام واماكن الصبا محببة الى نفس الشاعر وتصبو روحه لها حين يضطر الى تركها فيقول⁽³⁸⁾:

هو اضطرار أزل الاختيار فهل يختار ذو اللب ما يردي وما يصم
وكيف يجتنب الظمان مورده عمدا اذا راح وهو البارد الشبم
ونلاحظ هذه الدلالة المحببة حين يقف على الديار كما وقف الشاعر القديم فيرتبط المكان المحبب
عنده بمفهوم اعم واشمل من معناه عند السابقين.
فيمثل له ذكريات الاحبة والحنين اليهم فيقف كما وقفوا ويتأفت فلا مجيب سوى الدموع وتبرز
قدرته الفنية فاذا الاوطان تتكلم فيقول⁽³⁹⁾:

تلقت في اوطانهم فتكلمت دموعي وهم الشوق ان يتكلما
فمن ناشد للمكرمات ومنشد عن وطن يدنو بهم ولعلماء
ويبقى الدار للمكان الذي يشعر به الانسان بالامن والعيش الرغيد محبباً اليه ويتحول في نفس
الشاعر من مكان محدد الى مفتوح ليسع مشاعره فيقول السري الرفاء في الخيام⁽⁴⁰⁾:
ايعدو ايتها الخيام زمان ام لا سبيل اليه بعد ذهابه
قولني اذا ضاقت علي مذاهبي من لي برحب العيش بين رحابه
فارقت مشربه الذي لا تنطفيء غلل الحشا الا ببرد شرابه
وخلت ابواب الندامة بعدما عصفت بي الاحداث عن ابوابه
وتبقى الخيام مكاناً محبباً سيما حين ترتبط دلالتها مع الفتاة الاعرابية البدوية والصحراء فتكون
رمزاً للعروبة في زمن باتت العروبة مهددة فقال⁽⁴¹⁾:

الله اعرابية غدرت بنا ان النفاق سجية الاعراب
حجبت محاسنها الخيام ولو بدت كان العفاف لها ام حجاب
وأحل من قلب عاشقها الهوى منا بلا عمد ولا اطناب
ولعل ذكره لسجية النفاق هو من تأثير القرآن الكريم حين وصف الاعراب (البدو) بالكفر
والنفاق⁽⁴²⁾.

2. الاوطان والمدن:

لقد اصبحت المدينة في العصر العباسي الوطن بعد ان استقرت الحياة الحضارية، واكتسبت
المدينة محبة كبيرة فهي الوطن الصغير ومكان النشأة والصبا مثلما كانت الخيام في عصر البداوة، والرفاء
ابن الموصل احب مدينته كثيرأوحن اليها حين رمت به الايام بالبعد فدعا لها بالسقيا فقال⁽⁴³⁾:

شباب المرء ثوب مستعار وأيام الصبا ابدأ قصار
صدود في التقارب واجتناب وشوق في التباعد وادكار
وجاد للموصل الغراء غيث يجود وللبروق به انفار
ففي ايامها حسن التصابي وفي افيائها خلع العذار
ليالي كان لي في كل يوم الى الحانات حج واعتماد
رأى الدهر اجتماع الشمم منا فشتته وللدهر الخيار
وتبقى هذه المدينة صورة جميلة طرزها بخياله الخصب مستخدماً تشبيهاته الجميلة حتى بدت
ازهارها تتعانق مع ريحها وبدت سواقيها كحيات تتلوى على رمالها فقال⁽⁴⁴⁾:

وجنات يحيي الشرب وهنا جنى وهداتها وجنى رباها
تعانق ريحها لمم الخزامى واعناق القرنفل في سراها
ويأبى زهرها الا هجوعا ويأبى عرفها الا انتباهها
يحلل ريحها الريحان حسرى مغبرة الهبوب وهت قواها
وتقصد او تجور بها سواق كحيات الرمال عصت رقاها

وتبتسم القباب البيض منها على خضراء محمر جناها
ويأخذ الحنين الى مدينته المحببة فيستحضر التشبيه هذه الاداة البلاغية التي برع في استخدامها
فيقول⁽⁴⁵⁾:

فمتى ازور قباب مشرفة النذرا فارود بين النسر والعبوق
وارى الصوامع في غوارب اكما مثل الهوادج في غوارب نوق
حمراء تلوح خلالها بيض كما فصلت بالكافور سمط عقيق
وتبرز براعته في استخدام التشبيه حين شبه الصوامع الحمراء والبيضاء بسمط عقيق يفصلها
الكافور وقصورها التي بدت هوادج على نوق. وموطن الصبا يرتبط مع نفس الشاعر فيبدو محبباً اليه
ويثنى عليه ويذكره به البرق اذا ابتعد فقال⁽⁴⁶⁾:

تثنى البرق يذكرني الثنايا على اثناء دجلة والشعابا
فأياماً عهدت بها التصابي وأوطانا صحبت فيها الشبابا
وحينه يزداد اليها بمرور الايام فيذكر اوقاته الخالية فيخاطب البرق الذي وشح الروض بسلاسل
الورود فيقول⁽⁴⁷⁾:

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى وهناً فوشح روضه بسلاسل
انكرتنا النشوات في ظل الصبا والعيش في سنة الزمان الغافل

وقد كثر اشتياقه اليها في غربته حتى بدت قصورها معممة بالغيم كأنها انسان معمم برداء رقيق
فقال⁽⁴⁸⁾:

امحل صبوتنا دعاء مشوق يرتاح منك الى الهوى الموموق
هل اطرقن العمر بين عصابة سلكوالى اللذات كل طريق
ام هل ارى القصر المنيف معما برداء غيم كالرداء رقيق
وقلالى الدير التي لولا النوى لم ارمها بقلى ولا بعقوق
محمرة الجدران ينفح طيبها فكانها مبنية بخقوق
ان الموصل ذات الطبيعة الخلابة نجدها لوحة فنية برزت موهبة الرفاء في رسمها حتى بدت
دجلة وهي تشق رياضها مثل الصفيحة المصقولة الحواشي فقال⁽⁴⁹⁾:

أندب العيش فيها ام انوح على أيامها ام اعزى عن ليايها
ارض يحن اليها من يفارقها ويحمد العيش فيها من يدانيها
ميثاء طيبة الانفاس ضاحكة تكاد تهتز عجا من نواحيها
تشق دجلة انوار الرياض بها مثل الصفيحة مصولا حواشيتها
ولشدة حبه لها يقول⁽⁵⁰⁾:

لا امك الصبر عنها ان نأيت ولو عوضت من ظلها الدنيا بما فيها
محل قوم ينوب الدهر جودهم عن السحاب ان ظنت هواميهما
فهو لا يملك الصبر عن فراقها واهلها ينوب كرمهم عن السحاب حين تظن وقد يقترن حب الوطن
(المكان) بحب اهله وسراته فهو يجد في اكنافهم الحياة المستقرة فيقول⁽⁵¹⁾:

يعشون من شرق البلاد وغربها بالموصل الزهراء اروع ماجدا
ملك اذا ما كان بادئ نعمة الفيته عجا اليها عاندا
احرت يداه بها الندى فكانما جرى ساحتها الفرات الباردا

أ.م.د. عامر نايف الهيتي دلالة المكان في شعر السري الرفاء الموصلية
فكان ممدوحة بكرمه أجرى القرات بساحتها بكثرة عطايه واكثر ما يسره منظر حدائقها ومروجها
فيقول متمنياً ان ميتع بصره فيها⁽⁵²⁾:

**كلف تذكر قبل ناهية النهى ظلين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته في خده اذ لا مجير له من التفريق**

والسري الرفاء تجول في البلاد فقصد حلب حيث مواطن الكرم والعروبة فمدح سيف الدولة
وسكن هذه المدينة اوحبها مثل الموصل لتشابه الطبيعة ولكنه تركها الى بغداد طلباً للرزق فقال معبراً عن
حبه لهامعلا سبب مغادرته بحق الاقارب بالمدح⁽⁵³⁾:

**تركت رحاب الشام وهي انيقة تقول لطلاب المكارم وجبا
فماذا مدت الايام فيها نائمة ولا جانب الدنيا بها متجذبا
ولكن ذا القربى احق بمنطق اذا كان ذو القربى الى الحمد اقربا**

3. الرياض والمروج والانهار:

ان طبيعة الموصل غناء وذات مروج مزهرة ورياض تتخللها الانهار خلبت عقول الشعراء،
والرفاء كان لهذه المروج المحببة الى نفسه حضور كبير في شعره وبدت في ناظره حلا موشاه، وقد
استخدم الكثير من ادوات الوشي والتطريز في رسم صورها وهذه الادوات استمدتها من مهنته فهو كان
يعمل خياطاً في الموصل فتارة ترى الاشجار بهيئة فتاة ترتدي الملابس الملونة وتارة تجد الرياض بساطاً
مطرزاً.

فقد صور الثلج حين كسى هذه الرياض بهيئة فتاة جميلة ترتدي اثواب آل وتزين بحلي الكافور
وبدت الغصون كشهب الخيل بلا جلال فقال⁽⁵⁴⁾:

**تألأت الربا لما علاها كأن على الربا اثواب آل
كأن ذرا الغصون لبسن منه حلي الكافور ربات الحجال
تجول العين فيه وهو منها كشهب الخيل رحن بلا جلال**

ومن ملازمات الرياض الطيور فهي مفردة ونسيمها عليل ولا يخلو بيت من صورة جميلة
فيقول⁽⁵⁵⁾:

**اعاد الحيا سكر النبات وقدهما وجرى من عهد الربيع الذي امحي
وبات زناد البرق يفتح ناره على الآس حتى اهتز فيه وقدحا
كأن حمام الروض نشوان كلما ترنم في اغصانه او ترججا
ولاند نسيم الروض من طول سيره حسيراً باطراف الغصون مطلحا
وحلل من ازرار النور فاغنى كلفظ جليب هم ان يتفحصا**

ويكثر الشاعر من استخدام ادوات الخياطة كالأزرار والملابس والحلي في صورته حتى جسد النسيم
بهيئة رداء معطر فيقول⁽⁵⁶⁾:

**وثرى يشهد بالطيب له عبق حالف اطراف الازر
ونسيم وكره الروض فان طار في الصبح ارتديناه عطر**

ولم يعد هذا المكان (الرياض) ارضاً ونباتاً بل تحول الى مجاسد وشي يرتدي ولكنه من بهار
ومنشور، وبدت ألوان الزهور فيه برادة التبر في مداهن البلور فقال⁽⁵⁷⁾:

**وروض كساه الغيث اذ جاد ارضه مجاسد وشتى في بهار ومنشور
كأن اصفراراً منه تحت ابيضاض منه برادة تبر في مداهن بلور
وقد جسد هذه الرياض وكساها بلؤلؤ الطلل حتى بدت بهيئة انسان فقال⁽⁵⁸⁾:**

في روضة قد ليست من أولئو الطلل سرح
أم د عامر نايف الهندي
بألفني حماًتها معتيقاً ومصطبج
أوقظه بالعزف او يوقظني اذا صدح

وهذه الرياض لوحة زاهية بازهارها وانهارها التي تبدو سلاسل من فضة بين المروج فقال (59):
حببت على رغم الحسود بجنة حبتك بانواع الثمار والاطايب
ميادين ريحان كأن نسيمه نسيم الهوى ايام وصل الحبايب
كأن سواقيه سلاسل فضة اذا اطردت بين الصبا والجنائب

ان البرك والغدران جزء من الطبيعة التي احبها الرفاء ذلك انها المكان المحبب الى نفسه لانه مولع بالصيد اولا ويتمتع بمنظرها المكمل للرياض والمروج، وقد وصفها بهذه الدلالة المحببة، يقول في الغدير (60):

وطيب النشر عقب بريق الغيث شرق
تطرق من حيتانه صيد حجاب ما طرق
فصافت صفحته كل جديد كالخلق

واما النهر فهو ابيض كالآل يقول في وصفه الشبكة وهي آلة صيد السمكر في الانهار (61):

وجدة تحسبها العين بلى غبراء تغشاهما الصدا
يقوم في ابيض كالآل صفا ترسب في احشائه صقر الحشا

وقد اضفى على البركة حين يطفو عليها الزبد صورة العين حين يقع فيها القذى وتبدو البركة حين تركد دراسة الافواف ولعل (دراسة الافواف) هي من تأثير مهنة الخياطة فقال (62):

وبركة ليس يخفى موج لجتها من القذى ما طفافيها ومارسبا
يسري عليها الصبا برداً فان ركدت رأيتها دارس الافواف مستلبا
تري الاوز سروبا في ملاعبها كما تأملت في ديباجها لعبا

وتبدو صورة الكواكب على سطحها فكأنك ترى الارض سماء حين ينعكس عليها فتزيد من جمالها فقال (63):

برك تحلت بالكواكب ارضها فأرتك وجه الارض وهو سماء
رفعت الى الجوزاء فواراتها عمدا فصاب بصوبها الجوزاء
كادت ترد على الحيا المطاقة لو لم يمل اعطا فهن حياء

ان السواقي والانهار جزء من طبيعة الرياض فقد بدت له وهي تمتد على المروج الخضراء سيوفاً سلت على بساط اخضر فقال (64):

ومن سواق على خضراء تحسبها مخضرة البسط سلوا فوقها القضا
كأن دولابها اذا حن مغترب ناء يحن الى اوطانه طربا
باك اذا عق زهر الروض والده من الغمام غذا فييه ابا حديبا
ما زال يطلب رقد البحر مجتهدا للبر حتى ارتدى النوار والعشبا
والماء مطرد وفيه ومنعرج كأنما ملئت حياته رعبا

وما اجمل تشبيهاته حين شبه دولاب الماء في صوته بالمغترب يحن الى اوطانه وقد ذكر نهر دجلة باسلوب جديد واستخدمه بدلالة جديدة للرحلة نحو الممدوح حيث وصف السفينة وهي تسير مع امواج المياه تحت الخطى نحو الممدوح كما كان البدوي يحث الناقة في السير نحو الممدوح فقال (65):

اليك اطرنا من ديار ربيعة نعائم في ارض العراق وقوعها
ركائب تحدها الشمال كأنها قلاع اذا اوفت عليها قلووعها

تمد على الامواج باعاً كأنه يعانقها في مده ويوعها
أ.م.د. عامر نايف الهيتي دلالة المكان في شعر السري الرفاء الموصل

وحين يصف القصر يصف سواقيه فشبهها بسلاسل الفضة فيقول (66):
كأن سواقيه سلاسل فضه اذا اطردت بين الصبا والجنائب
ويسره منظر الرياض تتخللها الانهار فيستحضر مفردات مهنة الخياطة والتطريز فاذا بحواشي
النهر منمنمة اما غدران القصر فتجج بطيورها فيقول (67):
وقد حليت بزهرها اشجار وصندلت بمدها انهارها
نممت موشية اقطارها تعوم في غدرانها اطيورها

المبحث الرابع

دلالة المكان المحدد (المحبيب)

1. القصور والمنازل:

ان القصور منازل ذات دلالة محببة الى نفس الشاعر لاسيما قصور الموصل تبهره بمناظرها الجميلة وهي تنتصب وسط البساتين وتحيط بها الانهار والسواقي وتعمرها الرياحين والطيور فيرسم ذلك فيقول في قصر ممدوحه في الموصل فصوره باجمل الصور مسكراً قدرته على استخدام التشبيه فجسده بهيئة انسانية وكساه بأجمل الادرية (68):

انشأته منزلاً في قلب دجلة لا تمتاح جنته الغدران والقلبا
صفا الهواء به والماء فاشتبهها كأن بينهما من رقة نسبا
واصبح الغيث مخلوع العذار به فليس يخلع ايراد الحيا القشبا
والقصر يبسم في وجه الضحا فتري وجه الضحا عندما ابدى له شحبا
بييت اعلاه بالجوزاء منتطقاً ويقندي برداء الغيم محتجبا
اذا القصور الى اديانها انتسبت اضحى الى القمة العلياء منتسبا
حسباً هلوؤ وتربت به مسك ذكي لو لم تحمه اتتهبها
وكل ناحية منه زبرجدة اجري اللجين عليها جدولاً سربا
والقصر هذا المكان المحبب له شرفات كالوذائل المشرقة فيقول (68):
له شرفات كالونائل اشرفت على نازح الاقطار نائي المناكب
اذا لبست ورس الاصيل حسبتها تعل برقاق من التبر ذائب
مجاور بر ضاحك النور معشب وبحر طموح الموج عذب المشارب

وتبدو قصور الموصل في ناظره مشرقة الجوانب محلقة في السماء حتى قصرت عنها الكواكب فتتحول هذه القصور الى اشخاص منحها الحواس فاذا بها تناجي بنات نعش فيقول (70):

قصور حلقت في الجو حتى لقصرت الكواكب عن مداها
مشرقة كأن بنات نعش تناجيها اذا خفقت شفاهها
يتوجها اصفرار الشمس تبراً فيمسي وهي مذهبة نراها
وكافور به البنيان تنشي على من خطها او من بناها
وهي ليست قصوراً فحسب بل بدت ميادين ريحان فقال (71):
ميادين ريحان كأن نسيمه نسيم الهوى ايام وصل الحباب

والمنازل هي الاخرى ذات دلالة محببة فهي المسكن والملاذ الامن ومكان الراحة. فهاهو يدعو صديقه الى منزله المحبب اليه فيقول (72):

هل لك في زيارة منزل تثنى عليه جوانح الزوار
رحب تلاقي للجدر فيه ينابعا وترى السماء عليه كالأقمار
ينضو الحيي الوجه ثوب حياته منه فيمطر كالحسام العاري
ومحبة المنزل عند السري ترتبط ايضاً بدلالة اللذة والمتعة حين يكون منزلاً لشرب الخمر واللذة
فيقول (73):

ومنزل نزلته ابتكارا محاقرا في ظله الحقارا
ترى به معركة جهارا وقسطلا من حوله مثارا
ولا يفوته الثناء على منازل الموصل وبكائها بعد ان دمرها الفيضان فأضحت بلا نضرة وخراباً
فقال (74):

منازلنا التي لبست بلاها ومالت بعد نضرتها بلاها
خطتك ركابنا لحلول خطب اناخ على رباك فما خطاها
منحناها القلى كرها ولولا صروف الدهر لم تختبر قلاها
يميل بنا الهوى طربا اليها فنبكيها ونسعد من بكاهها

2. المجالس والديارات

تعد المجالس والديارات من الاماكن المحببة الدلالة لدى الشعراء ذلك انها ترتبط بطلب المتعة والراحة والانس، يقصدها الشعراء لذلك وينالون حاجتهم فيها فيقول السري الرفاء (75):

شاقني مستشرق الدير وقد راح صوب المزن فيه وبكى
اهواء رقى في ارجائه ام هوى راق فما فيه كدر؟
وحدود سفرت عن وردها ام ربيع عن جنى الورد سفر؟
مجلس ينصرف الشرب وما طويت عن بسطة تلك الحير
وكان الشمس فيه نشرت ورقاً من بين اوراق الشجر
ان الدير ترتبط دلالتها باللذة والمتعة بالشرب ومعاشرة النساء ولذلك يكثر من ذكر مفردات المتعة والشرب والانس فيقول (76):

هل اطرقت العمر بين عصابة سلكوا الى اللذات كل طريق
وخالى الدير التي لولا النوى لم ارمها بقلى ولا يعقوق
ثم يعود ويذكر لذاته بالدير والهيكل هذا المكان بدلالاته المحببة الى نفسه فيقول (77):
كم قد رمقت به المنى فغشيتها ما بين مرموق الجمال ورامق
ايام كنت اذا ادلهم ظلامه اهدي اليه من الخيال الطارق
وفي هذه الدلالة المحببة ايضاً بذكر دير الشياطين يقول (78):
عصى الرشاد فقد ناداه من حين وراكض الغي في تلك الميادين
ما حن شيطانه العاتي الى بلد الا ليقرب من دير الشياطين
وفتية زهر الاداب بينهم ابهى وانضر من زهر الرياض

لقد دارت مفردات اللذة والعصيان في ذكره هذه الاماكن التي ارتبطت دلالتها بالانس والتحلل من قيود ونواهي الدين، ان الديارات كثيرة الدوران في شعره لاسيما ديارات الموصل التي كان يتردد عليها فيقول (79):

يا ديرها الشرقي لازال رائح يحل عقود المزن فيك ومفتدي
موارد لهو صفقت في ظلالها موارد من ماء الكرم مورد
عليه انفاش الرياح كأنما يعلل بماء الورد نرجسها الندي
وملعب افرندية الروض يعتلى عليه خلوقي البناء المشيد
صوامع في سرو اناف كأنها قباب عقيق في قباب زبرجد
ومما يرتبط بالديارات المجالس التي تطرح بها اللذة فهي اماكن ذات دلالة محببة اليه فيرسم لها
صورة جميلة مطرزة بالالوان فيقول⁽⁸⁰⁾:

ومجلس اسبلت ستائره على شمس البهاء والحسب
وقد جرت خيل راحنا خبيبا في جريها او هممن بالخيب
فسر الى المجلس الذي ابتسمت فيه رياض الجمال والادب
والحانة هي الاخرى من الاماكن التي ترتبط دلالتها بالشرب والمتعة يقول في حانة (اترجة)⁽⁸¹⁾:

اتحت في حانة اترجة وحبذا حانتها من مناخ
ثم اطرحنا الدين في بيتها حتى انسلخنا منه اي انسلاخ
تصافح الخمر بها انفسنا ونزرع النسل بها في السباخ

فقد اناخ ركابه فيها لياخذ نصيبه منها متحلا من الدين ونواهيه وقد استخدم مفردة اناخ التي
استخدمها الشاعر البدوي للناقة.

المبحث الخامس

دلالة المكان المفتوح (غير المحبب)

١. الاوطان والمدن

ان الشاعر حين لايطيب له العيش في بلد غير بلده يمقته ولا يستقر فيه فتبدو دلالاته غير محببة
فيتمنى ان يفارقه ويعود الى بلده متشوقا اليه ذاما البلاد الجديدة فيقول السري الرفاء حين قدم الى بغداد
التي لم يطب له العيش فيها⁽⁸²⁾:

كيف خلاصي من العراق وقد اثرت فيها معادن الكرم
رأيت فيها خلاعة وصلت اطرافها بالعلوم والحكم
مجالس ترقص القضاة بها اذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عيها انامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته شيبة فعلان خضبن بدم

لقد شاع الظلم واستشرى الفقر في عصره وانتشرت الرذيلة والمجون فلم يهنا بعيش فيها ولذلك
هجرها بعد ان اصبح رزقه ضيقا وقصد حلب التي فيها يشعر بالامن والكرم على يد رمز العرب سيف
الدولة الحمداني فقال⁽⁸³⁾:

صددت عن العراق صدود فال وشمتم العيش ان حل الشاما
فالفيت الامير اليك مجد معنى بالكمارم مستهاما
ولولا انت لم ازج المطايا ولم اصل السري شهرا تماما

ان السري الرفاء وصل به الفقر ان عمل وراقا في بغداد ولم يجد من يمد يد العون اليه فتوجه
الى امير الكرم سيف الدولة في حلب وبدا وطنه غير محبب اليه فجد في الرحيل فقال⁽⁸⁴⁾:

اما ترى الدهر اغضى من نوائبه جار الامير فما تنتابه النوب
قوض خيامك من دار ظلمت بها وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كانت الاوطان مضیعة فالمنذل الرطب في اوطانه حطب

ان دلالة المكان هنا تشير الى النفور والرفض لان المكان لم يسعف الشاعر في عيشه فقال (85):

رأى الدهر اجتماع الشمل منا فشتته ولدهر الخيار
وبدائي بأخدان المعالي اناساً فعلهم شين وعار
لحى الله العراق وساكنه فما للحر بينهم قرار
هم شجر من التمويه اكدي فلا ظل لديه ولا ثمار
فمغبوط وليس له عشاء ومحسود وليس لديه دثار
ومقصود الندى قصرت يداه فلا نفع لديه ولا ضرار
أأقصد بالعراق اسير دهر غريباً لا ازور ولا ازار.

ولم يمقت مدينة مثل بغداد دار الخلافة لانه لم يجد فيها ضالته وتبدو في عينه مهانة الخليفة الضعيف امام سطوة الاعاجم فيقول (86):

ومعتصب بتاج الملك فيه الى من رام نائلة افتقار
اسير في يد الايام راض بما يجري به الفلك المدار
اذا حكم العبيد عليه فاضت لفرط الذل ادمعه الغزار
فما يخشى سواه الدهر جان ولا يرجو نداء الدهر جار

وتتحول دلالة المكان المفتوح المحبب الى غير محبب تبعاً لحال الانسان الشاعر فاذا ضاق العيش فانه يأبى الا مفارقة هذا المكان وان كان لا يمقته فيقول (87):

وتجذبني اذا ما الشام ضاقت على رحابه رحب العراق
على انني افارق عن ودا مقيم في حمى الاحشاء باقي

فهو لم يترك الشام لقلبي وانما لضيق الحال بها حتى انه يشعر ان كل بر كدر فيقول (88):

كل بر يشوبه كدر المـطـ لـ حقيق بان يكون عقوقاً
لو اراق دمي صروف الليالي لم تجدني لماء وجهي مريقاً
واذا المن جاء بالمن فالمر زوق من لم يكن مرزوقاً

ان اباء الشاعر وحفظ ماء وجهه يدفعه لان تتحول دلالة المكان عنده الا انها تبقى محببة على الرغم من مغادرة المكان فمغادرته للمدح والتكسب فقال (89):

تركت رحاب الشام وهي انيقة تقول لطلاب المكارم مرحباً
فما دممت الايام فيها نائمة ولا جانب الدنيا بها متجنباً
ولكن ذا القربى احق بمنطق اذا كان ذو القربى الى الحمد اقرباً

وها هو يمضي ليلة مسهداً في بغداد التي لا يحبها ذلك ان وطنه الموصل خربها الفيضان فقال (90):

محل الهوى العذري في خير حلة وعهد الشباب الغض في خير معهد
مضت نومة التعريس في ظل امنه واعقبها ليل السليم المسهد

ان الشاعر ترك مدينته كرها فهي لا تقارن مع غيرها من المدن التي لم يشعر بطيب العيش فيها فقال (91):

خطتك ركابنا لطلول خطب اناخ على رباك فما خطاها

منحناها القلى كرها ولولا صروف الدهر لم نختر قلاها
فحبه للموصل وتعلقه بها يدفعه الى مقارنتها بغيرها من المدن التي لم ترق له.

2. الانهار:

وقد يكون النهر يحمل دلالة غير محببة حين يفيض ويهدد ويغرق المدن والزرور وحين فاض
نهر دجلة حذر اهل مدينة الموصل وقد اجاد في رسم صورة السفن وهي تتمايل وسط الامواج فبدت كأنها
ترقص فرحا كرقص بنات الريح فقال⁽⁹²⁾:

احذركم امواج دجلة ان غـدت مصندلة بالمد امواج مائهـا
وظلت صغار السفن ترقص وسطها كرقص بنات الريح عند انتشائها
وقد عصفت بالجسر ريح فاقبلت سفانته تعوج بعد استوائها
تغرقها هوج الرياح وتعتلى ربا الموج من قدامها وورائها

وقد وصف حال مدينة الموصل حين داهمها النهر في فيضان مائه فشبهه بالوحش يتحين فريسته
فقال⁽⁹³⁾:

ارى بلدا يشكو من الماء مثلما شكا الغمد من حد الحسام المهند
تحيف غربي القصور كأنمـا رمين على الايام منه بمبـرد
وهذا النهر المكان في دلالاته غير المحببة يجده قد رمى قلوب اهل الموصل مثلها فقال⁽⁹⁴⁾:
رماها بالتي عظمت ولكن اصاب قلوبنا لما رماها

3. مواطن الاعداء

وتبدو دلالة المكان معادية غير محببة حين تكون ارضا معادية وهذه الدلالة المكانية تتلمسها في
شعر الحرب ومعارك الثغور يقول السري الرفاء في خرشنة⁽⁹⁵⁾:

وزادت ارض خرشنة رعالا فكادت ارض خرشنة تميل
وخرت في قرى تروي بجائحة عليها او تـرود
وبانت توقد النيران فيها وسيان الكواكب والوعود
وفي ارناس الارض ذات الدلالة المعادية يقول⁽⁹⁶⁾:
امت بشطي ارناس ولفنا شظاظ فأبت منه وهو محطم
وتتضح الدلالة المعادية غير المحببة للمكان في قوله⁽⁹⁷⁾:
اسد اذا حاولت ارض العدا حملت على الكواهل غابا للقتا اشبا
وتبدو ارض الاعداء غير محببة فلا تسلم من غارات ممدوحه فقال⁽⁹⁸⁾:
وان ضربت دون الخليج خيامه فمن خلفه للرعب جيش مخيم
ومعتصم بالمشرفية لم يكن ليسلم منه في نرا الطود اعصم
وفي هذه الدلالة غير المحببة للمكان الذي ارتبطت دلالاته بالاعداء قال⁽⁹⁹⁾:
اوفى فسد شعابهم بعمرمرم يغشى الفضاء الرحب سيل عبايه
ترجي المنون جياده محزومة بالحزم او يهدي الردي بركابه
حتى تصبح في مجالس قيصر منخما في تاجه ونهايه.

المبحث السادس

دلالة المكان المجازية

1. دلالة عبرة وعضة

وقد جاء بالقران الكريم ما يدعو الناس الى التفكير في الدنيا وحال الامم البائدة التي عاقبها الله جل وعلا وبقيت اثارها تدل على حالهم وعلى قدرة الله وتبصره في خلقه فقد قال تعالى: [ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد]⁽¹⁰¹⁾

فقد نظر كثير من الشعراء الى المدن والقصور المندثرة والتي كانت عامرة بالملوك والخلفاء لكن يد الدهر طالتها فمات سكانها وبقيت هي تشير الى حال الدنيا فلا يبقى فيها احد ولا يدوم حال وهذه النظرة الى هذا المكان هي دلالة عبر وعظة فقال⁽¹⁰⁰⁾:

نحن للايام غنم ونقــــل ترحل الاحداث عنا او تحل
نوب قلن لعماد قبلنا ان من ذات العماد المرتحل
فأثنوا عن ذلك الشرب الذي صار علا لسواهم منهل
بعدهما غصت باسيافهم كذب السهل واوعار الجبل
ورمت طسما فقل في غرض تتحداه يداها بشمــــل
واظلت صاحب الحضر فما برحت حتى غدا تحت الاظل
وارى الاملاك من اسرتنا قصدت ملكهم حتى اضمحل
فأسل الحيرة عن جبارها حين يوماه حياة واجل
فأسأل الايوان عن اربابه كيف جدت بهم تلك الرحل
نحن اغراض خطوب ان رمت حيرت في دفة الزمني نعل

وفي هذه الدلالة للمكان يقول ايضاً راثيا بني عقيل بوفاة احدهم فيخاطب الربيع خطاب متأمل معتبر متسائل عن أهلها⁽¹⁰²⁾:

ها انها خطط العليا والكرم واين سافرة الاخلاق والشيم
رباع مجد بها من اهلها عبق مخبر عن فراق منهم امم
اذا تأملها الزور الملم ثــــوى يحط بالدمع اثقالا من الالم
عهدي بها والليالي الغيد تابعة ايامها البيض بين الخفض والنعم
خطب وهي عرش غسان به وغدت تيجان حمير من واه ومنقصم
اظل دجلة فانحطت غواربها واصفر من جانبيها مورق السلم
اعزز على بان راحت دياركم مــــثوى الهموم وكانت مسرح الهمم
وها هو يخاطب المكان بدلالة العبرة مشخص المكان وجعله يحس ويتألم لفقد اهله فيقول⁽¹⁰³⁾:
مالي ارى الربض اقشعر لفقده فتراه يابــــس
وارتد مسود النهار وكان مبيض الحنادس

والقبور من الاماكن التي يكون ذكرها دلالة للعبرة والتفكر في الحياة والموت فيقول⁽¹⁰⁴⁾:
قبر له من عيون المزن صوب حيا ومن عيون بني الامال صوب دم
يجري النسيم على أرجاء تربته تحية لطففت من باريء النســــم
وتبدو هذه الدلالة في رثائه والدة ابي تغلب الحمداني فقال⁽¹⁰⁵⁾:

لئن كان وادي الحصن رحبا لقد ثوى بعرضته المعروف والنائل الرحب
ولو علمت نطحاه ما تضمنت تطاولت البطحاء وافتخر الشعب

وحين اغرق دجلة الموصل رثاها وتوفق كثيراً متألماً حزينا معتبرا لما حل بها فقال⁽¹⁰⁶⁾:
منارنا التي ليست بلاها وحالت بعد نضرتها جلاها
خطتك ركابنا لحنول خطب اناخ على رباك فما خطاها
كان لم تغن عرصتها بخضر يقيد لحظ مبصرها غناها

فما لنعيمها انقصمت عراها وما لرياضها انبتت كساها
احين أضلها سلم الليالي وقلنا قد تجنبها أذاهما
رماها بالتي عظمت ولكن اصاب قلوبنا لما رماها

2. دلالة المكان المجازية (الصفة)

وقد يذكر الشاعر البحر او النهر كمكان ولكن الدلالة مجازية يريد بها تشبيه الممدوح بالبحر او الفرات لعظم كرمه وعطائه فهي كناية عن الكرم والعطاء والشجاعة فيقول⁽¹⁰⁷⁾:

لاحظت ربك فاكحلت بمخضب الجنبات زاهر

ووردت بحراً منك محمود الموارد والمصادر

وفي هذه الدلالة المجازية التي تشير الى شجاعة الممدوح يقول ايضا⁽¹⁰⁸⁾:

سموت له وبحر الموت سام فلما عب مرحت العبايا

اما الفرات بدلالته المجازية عن كرم الممدوح وعطاياه التي تجري كالفرات فقال⁽¹⁰⁹⁾:

اجرت يداه بها الندى فكأنما اجرى ساحتها الفرات الباردا

اما حين يمدح القاضي فتبدو حصونا تحمي الناس وهي رياض طيبة النبات والنسيم فدلالته

مجازية حيث قال⁽¹¹⁰⁾:

لقد اضحت خلال ابي حصين حصوناً في الملمات الصحار

كساني ظل نائلــــة وادي غرائب منطقي بعد اغتراب

فكنت كروضة سقين سحاباً فأثنت بالنسيم علي السحابا

اما السوق ذلك المكان فقد بدت دلالاته المكانية مجازية تدل على عظم كرم الممدوح وكأنه اقام

سوقاً لتوزيع المكارم فقال⁽¹¹¹⁾:

اقام الرفد سوقاً من مكارمه يضحى الثناء اليها الدهر مجلوبا

والرياض لا يجد افضل منها جمالاً ليشبه بها محامد الممدوح فقال⁽¹¹²⁾:

ومن رياض الحمد مؤنقة فزهرها فيه منظوم ومنثور

الهوامش

1. يتيمه الدهر: الثعالبي، 117/2.
2. الديوان، ص 246، وانظر كذلك السري الرفاء حياته وشعره، ص 31.
3. ارشاد الاديب، ج 11/113.
4. يتيمة الدهر 126/3، الفهرست ص 241، النجوم الزاهرة 67/4.
5. المنتظم: 62/7.
6. يتيمة الدهر: 122/2.
7. شذرات الدهر: 122/2.
8. شذرات الهب
9. السري الرفاء (حياته وشعره): 137.
10. يتيمة الدهر: 118/2.
11. الديوان: 145.
12. تهذيب اللغة – 66/14 (دلل).
13. المفردات: 173.
14. الصحاح: 1698/4 (دلل).

- ١٥ . اللسان: 66/13 (دلل).
- ١٦ . سورة الصف: آية 10.
- ١٧ . سورة القصص: 12.
- ١٨ . سنن الترمذي: 147/4.
- ١٩ . اساس البلاغة: 280/10.
- ٢٠ . التعريفات: 61، وينظر اصطلاحات الفنون، 284/2 شعر السري الرفاء الموصلية
دلالة المكان في
- ٢١ . الرواية والمكان: 10.
- ٢٢ . سورة الاعراف: 24.
- ٢٣ . سورة النساء: 97.
- ٢٤ . سورة الملك: 15.
- ٢٥ . سورة البقرة: 22.
- ٢٦ . الشعر والشعراء: 74/1.
- ٢٧ . الغزل في العصر العباسي الاول: رسالة ماجستير، كلية الآداب، بغداد، 1970، ص 159.
- ٢٨ . العمدة: 231/2.
- ٢٩ . مقدمة القصيدة في العصر العباسي: 260.
- ٣٠ . السري الرفاء (حياته وشعره) 315.
- ٣١ . الديوان: 112.
- ٣٢ . الديوان: 116.
- ٣٣ . الديوان: 172، السري الرفاء (حياته وشعره): 318.
- ٣٤ . الديوان: 38.
- ٣٥ . مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي: 322.
- ٣٦ . الديوان: 223.
- ٣٧ . الديوان: 268.
- ٣٨ . الديوان: 246.
- ٣٩ . الديوان: 242، السري الرفاء (حياته وشعره) 112.
- ٤٠ . الديوان: 21.
- ٤١ . الديوان: 53.
- ٤٢ . انظر سورة التوبة/97.
- ٤٣ . الديوان: 129.
- ٤٤ . الديوان: 279.
- ٤٥ . الديوان: 186.
- ٤٦ . الديوان: 125.
- ٤٧ . الديوان: 256.
- ٤٨ . الديوان: 186.
- ٤٩ . الديوان: 278.
- ٥٠ . الديوان: 278.
- ٥١ . الديوان: 80.
- ٥٢ . الديوان: 186.
- ٥٣ . الديوان: 25.
- ٥٤ . الديوان: 230.

الديوان: 73	٥٥
الديوان: 118	٥٦
الديوان: 142	٥٧
الديوان: 74	٥٨
الديوان: 9	٥٩
الديوان: 189	٦٠
الديوان: 10	٦١
الديوان: 25	٦٢
الديوان: 9	٦٣
الديوان: 35	٦٤
الديوان: 165	٦٥
الديوان: 49	٦٦
الديوان: 144	٦٧
الديوان: 35	٦٨
الديوان: 49	٦٩
الديوان: 279	٧٠
الديوان: 279	٧١
الديوان: 48	٧٢
الديوان: 12	٧٣
الديوان: 139	٧٤
الديوان: 73	٧٥
الديوان: 202	٧٦
الديوان: 202	٧٧
الديوان: 274	٧٨
الديوان: 98	٧٩
الديوان: 60	٨٠
الديوان: 100	٨١
الديوان: 246	٨٢
الديوان: 63	٨٣
الديوان: 19	٨٤
الديوان: 130	٨٥
الديوان: 130	٨٦
الديوان: 202	٨٧
الديوان: 203	٨٨
الديوان: 25	٨٩
الديوان: 97	٩٠
الديوان: 279	٩١
الديوان: 11	٩٢
الديوان: 98	٩٣
الديوان: 279	٩٤

دلالة المكان في شعر السري الرفاء الموصلي

م.د. عامر نايف الهيتي

- ٩٥ . الديوان: 75.
 ٩٦ . الديوان: 251.
 ٩٧ . الديوان: 34.
 ٩٨ . الديوان: 77.
 ٩٩ . الديوان: 21.
 ١٠٠ . سورة الفجر 79.
 ١٠١ . الديوان: 224.
 ١٠٢ . الديوان: 298.
 ١٠٣ . الديوان: 152.
 ١٠٤ . الديوان: 265.
 ١٠٥ . الديوان: 36.
 ١٠٦ . الديوان: 279.
 ١٠٧ . الديوان: 119.
 ١٠٨ . الديوان: 14.
 ١٠٩ . الديوان: 80.
 ١١٠ . الديوان: 33.
 ١١١ . الديوان: 57.
 ١١٢ . الديوان: 102.

المصادر

- ١ . القرآن الكريم.
 ٢ . ارشاد الاريب الى معرفة الاديب، ياقوت، الحوي، دار المأمون، القاهرة 1963.
 ٣ . اساس البلاغة، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ط3.
 ٤ . تهذيب اللغة، الازهري، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967.
 ٥ . التعريفات، الجرجاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986.
 ٦ . ديوان السري الرفاء، تحقيق حبيب حسين الحسني، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، دار الرشيد للنشر 1981.
 ٧ . ديوان كشاجم، تحقيق خيرية محمد محفوظ، دار الجمهورية بغداد 1970.
 ٨ . الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الحرية، بغداد 1980.
 ٩ . السري الرفاء (حياته وشعره) حبيب حسين الحسني، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981.
 ١٠ . سنن الترمذي، الترمذي، ضبط: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة 1968.
 ١١ . شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ابن العماد، مكتبة القدس القاهرة 1350 هـ.
 ١٢ . الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق احمد شاكر، دار المعارف مصر 1966.
 ١٣ . الصحاح: الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1987.
 ١٤ . العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1986، ط6.
 ١٥ . العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطبع، بيروت 1970.
 ١٦ . الغزل في شعر العصر العباسي الاول، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، الاداب، 1995.
 ١٧ . الفهرست: ابن النديم، مطبعة الاستقامة/ القاهرة، 1348 هـ.
 ١٨ . كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972.

- ١٩ . لسان العرب، ابن المنظور: اعداد وتصنيف، يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت.
- ٢٠ . المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري، عبد اللطيف الراوي، بغداد، مكتبة النهضة.
- ٢١ . المنتظم، ابن الجوزي، دار المعارف، حيدر آباد، ط1، 1358 هـ.
- ٢٢ . مفردات الفاظ القرآن، الاصفهاني: تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، 1973.
- ٢٣ . مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الاول حسين عطوان، دار الجبل، بيروت ط1.
- ٢٤ . مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان، دار الجبل بيروت.
- ٢٥ . النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، القاهرة، طبعة وزارة الثقافة والارشاد، 1963.
- ٢٦ . وفيات الاعيان، ابن خلكان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ٢٧ . يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، 1973، ط3.